

الإسلام حفظ حقوق الإنسان وضمن حق المساءلة لكل مسؤول



إن شريعة الإسلام مبنية بناءً متيناً حكيماً لأنها من العزيز الحكيم الحميد فما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وأرشدت إليه ودلت عليه، ولذا اعتنت الشريعة بحفظ الضرورات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فحياة البشر لا تستقيم وأمورهم لا تنتظم إلا بحفظ هذه الضرورات، ليست هي من حقوق الإنسان التي كلها له الإسلام، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا موقف بين قيمة الإنسان في الإسلام وأنه ليس بهيمة إنه إنسان سميع بصير جعل الله له حفاً ورأياً وكلمة: أنت لئاب من اليمين فوزعها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الناس لكل مسلم ثوب وبقي ثوب لأمر المؤمنين فليسه فوصل الثوب إلى ركبته فقال لابنه عبد الله: أعطني ثوبك الذي هو حصتك فأعماه إياه فوصل عمر ثوبه بثوب ابنه عبد الله وليسهما وصعد بخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا لما سوف أحدثكم عنه فيصرخ سلمان الفارسي: والله لا أسمع ولا تعي – رجل يقطع الخليفة أمير المؤمنين رجل فارسي ليس بفارسي ولا هاشمي ولا عربي ولا هو من قرابة الخليفة

فيقول عمر: ولم؟
فيرد سلمان: لأنه تليس ثوبين وتلبسنا ثوباً واحداً، أين العدالة؟
فقال عمر: يا عبد الله: قم فأجب
فقام عبد الله والناس سكوت فقال: إن أبي رجل طويل لا يكفيه ثوب فأعطينه ثوبين، فوصله بثوبين وليسهما.
فهنا قال سلمان: يا أمير المؤمنين الآن قل نسمع ومن تلع.
نعم، إنها حقوق الإنسان إن من حقه أن تعيش محترماً في كلمتك وفي رايك وفي بيتك وفي مالك، لا تعيش خوفاً ولا بملشاً ولا إرهاباً ولا تخويفاً وهذا ما كتبه الإسلام لجميع المسلمين على حد سواء لا فرق بين أبيض وأسود ولا غني وفقير ولا كبير وصغير، الكل سواء في ميزان الإسلام.
فالله تعالى لا يضيع حق كل ذي حق وقد بعث رسله فينبوا الحقوق والواجبات وهماو نبينا صلى الله عليه وسلم بلف في حجة الوداع ليدرك الناس يحقوفهم وواجباتهم فيقول: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم،، وهي وصية سيكرها صلى الله عليه وسلم في آخر خطبته تأكيداً لها وإبرازاً لخطورة الاعتداء على الأموال والدماء فيوم عرفه هو يوم الإعلان عن حقوق الإنسان فيه أعلن أبو القاسم صلى الله عليه وسلم حق الإنسان في الحياة وفي الملكية، وفصل حقوق النساء وأنها إنسانات لها شأنها في المجتمع فهي تمثل نصف الأمة وتعد النصف الآخر إذا هي أمة كاملة كل لها الإسلام حقوقها فلها حق العشرة الحسنة وحق التعليم وحق اختيار الزوج وغيرها من الحقوق.
إن الإسلام كل للإنسان كل حقوقه فانتظر لحرمة الكعبة فإن لها حرمة عظيمة ولكن حرمة المؤمن عند الله أشد حرمة من الكعبة.

لم ينفصل التوكل عن معاني قوة الإرادة وبذل الجهد إلا في عصور ضعف الإسلام

المسلم الحق ينأى عن مواطن الهُون ويضرب في فجاج الأرض ابتغاء العزة والكرامة



■ التعاسة النفسية والهوان الاجتماعي قد يجعلان الإنسان كثير التشاؤم قليل الإنتاج.. وواجبنا بذل كل جهد للتخلص من قيودهما

■ المسلم يجب أن ينكر بقوة عيوب المجتمع دون تهيب لكبير أو استحياء من قريب ولا تأخذه في الله لومة لائم

أن يكون نقادة للعيوب الفاشية، جريئاً في الحملة عليها، لا يتهيب كبيراً ولا يستحي من قريب، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، وأن يناديهم بالفاظ التكريم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد فقد أغضب ربه». ماء ويرجحه الذر والهياء يوم يكون شخصاً ساقطاً. وإنها لجريرة مضاعفة أن يتهلك امرؤ الحرمان المصونة، ثم يستمع إلى من يبولونه لا إلى من يحقرونه، «ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء». وتحريم الإسلام للغبية فيه محافظة على

التوكل الحق قرين الجهد المضني والإرادة المصممة ولم يفرق التوكل عن هذه المعاني إلا في العصور التي شُخّ فيها الإسلام، وأصبح بين أتباعه لهُواً ولعباً ومما يجعل المسلم قويا أن يبتعد عن حياة الخلاعة والفجور. وإن يالف مسالك الزنامة والاستقامة فإن الرجل الخرب الدامة أو الساقط المروءة لا قوة له ولو ليس جلود السباع، ومشي في ركب الملوك. وقد نصح الله قوم هود فارشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة، وكانوا عاقلة جبارين. فقال: «يا قوم استغفروا ربكم لم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين».

وأراد رسول الله أن يزين الطاعات للناس، وأن يفرهم بآدابها، وأن ينشر لهم عقلة الإنسان عندما يفعل الخير ويرأفهم الشيطان ويسمو إلى الملأ الأعلى فضرب لهم هذا المثل في سياق حديث له، قال: «ما خلق الله الأرض جعلت تמיד وتنفقا فارسها بالجبال فاستقرت. فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت: يا ربنا لم خلقت خلقا أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من النار؟ قال: نعم، الماء قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالوا: فهل خلقنا خلقا أشد من الريح؟ قال: نعم، أين آدم إذا تصدق صدقة يمينه فأخفاها عن شماله» إن الإنسان، هذا الكائن العجيب، يجتر سبدا لعناصر الكون كلها، يوازن أفعاما وأفاسها فيرجه ويربو عليه، يوم يكون شخصا فاضلاً ولكنه يلغى في الأرض والسما إذا انحد عن الفضائل، والمثل الذي ذكره الحديث ليس إلا إبرازاً لقيمة الرجل المحسن وتصويراً لرسوخه وسموه عندما يسبق في ميدان الخير، ومن عناصر القوة أن يكون المسلم صريحاً، يواجه الناس بطلب مفتوح ومبادئ معروفة، لا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة انصاره، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يملكها ويعيش لها، ولا يحدد من هذه الصراحة أبداً في تقرير حقيقة ما، حدث أن كشفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: كشفت الشمس لوت إبراهيم!! فقام رسول الله يخطب الناس، فقال: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لوت أحد ولا لحياته ولكنها آياتان من آيات الله تعالي يريهما عبادي، فإذا رايت ذلك فافزعوا إلى الصلاة». ذلك أن الشخص الذي يحيا في الحقائق لا يتاجر بالباطيل، فهو غني عنها، وصراحته دليل على ثروة عريضة من الشرف. تغني صاحبها عن الدجل والاستغلال، وتقيم سيرته على ركائز ثابتة من الفضيلة والكمال. وقاعدة الأمر بالعرف والتقي عن المنكر تنطبق من هذا السمو النفسي، لأنها تعتمد على تصديق بما فرط منه من ابتغاء مجوه لتثبت مكانه الصواب والخير.

والذي نريد توكيده هنا أن المسلم يجب

أن تفضح ملته، وإن نشهر بين الناس به، وإن كان العيب الذي وجدناه جراً مستهتر أو معصية مجاهر، فهذا الذي يجب أن يقابل بكلمة الحق. تطرح أذنيه دون ميلاد، ولكي ما تكون هذه الكلمة خالصة ينبغي أن تبتعد عن مشاعر الشفقة وحب الأذى، وأن تلتزم بالرغبة المجردة في تغيير الفيج، وإصلاح الفرد والجماعة. وليس من هذا البتة أن تذكر العاصي بشر عند ادعائه لتقرب من قلوبهم، أو لتطعم من موائدهم، أو لتتظاهر بالبراءة من الخصال التي ذمها فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل برجل مسلم أفله الله يُلعنه ملثما من جهنم، ومن كسى ثوبا من لاجده له». ورجل مسلم فإن الله يسوه ملته من جهنم ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء فإن الله يلوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة». إن الغيبة شيمة الضعاف «وكل اغتياب جهد من لاجده له».

والإسلام يكره أولئك الذين يعيبنون في الدنيا الناس، تغلب عليهم طابع الزلفي والتهافت على خيرات الآخرين، ويجبون أن يكونوا في هذه الحياة كاللعالب التي تفتات من فضلات الأسود.

إن المسلم أكبر من أن يربط كيانه بغيره على هذا النحو الوضع، بل يجب أن ينأى عن مواطن الهون، وأن يضرب في فجاج الأرض يبتغي العزة والكرامة. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الجنة وخلائهم، وأصحاب النار وخلائهم، فقد فضائل القوة والكرامة والفيل في الأولين وقرن رائل الهوان والاختلاس والعجز والتلاعب بالآخرين قال: «..أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موقف ورجل رجم رفيق القلب لكل ذي فربي ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار: الخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خائنه، ورجل لا يصيح ولا يسيى إلا وهو يخادعك عن افك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنطير الفحاش، وإن الله أوحى إلي أن تواضعتوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». على أن هناك أمورا قد تعرض للمسلم فينوء بها، وربما يهون في نفسه ما دامت مصاحبة له، فالتعاسة النفسية والكهوان الاجتماعي لا يضرعان على الإنسان ضغطا يُعقد، ويجعله سبي التفكير، كثير التشاؤم، قليل الإنتاج، وواجب المسلم أن يبدل كل جهد للتخلص من هذه القيود الكثيفة، والخروج من مازله القابضة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعذ بربه من هذه المصائب الهدامة «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك: من الجن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وفقر الرجال». والصبر والرجاء، هما عدة اليوم والغف، ويتحمل المرء في ظلمها المصائب الفارقة فلا بدل، بل بكل محصناً من نواحيه كلها، غالبا على الأحداث والفن لأنه مؤمن والمؤمن لا يضرع إلا إلى الله..

الوفود والمفاوضات التي لُحيت للتفاوض مع النبي (صلى الله عليه وسلم) تبين مدى الفشل الذي أصاب زعماء قريش في عدم حصولهم على التنازل الذي عن الإسلام، الأمر الذي جعلها تنجا إلى طلب الحصول على شيء من التنازل، وبلاخط أن التنازل الذي طلبوه في المرة الأولى، أكبر مما طلبوه في المرة الثانية، وهذا يدل على تدرجهم في التنازل من الأكبر إلى الأصغر، عليهم يجدون آذانا صاغية لدى قائد الدعوة، كما أنهم كانوا يغيرون الأشخاص المتفاوضين، فالتنزل التنازل شيئا يسيرا، فلايلازم دعوة ربانية ولا مجال فيها للمساومة إطلاقا، مهما كانت الأسباب والدوافع، والمبررات «وعلى الدعاة اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والأغراء المادية، التي قد لا تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلا غير مباشر، في شكل وثائق عليا، أو علود عمل مجزية، أو صفقات تجارية مربحة، وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية للشيوحة لتصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القياديين منهم، وهناك تعاون تام في تبادل المعلومات بين هذه المؤسسات التي تعمل من مواقع متعددة لتدمير العالم الإسلامي»، ولقد جاء في التقرير الذي قدمه ريتشارد ب. ميشيل أحد كبار العاملين في مجال الشرق الأوسط، لرصد الصحوحة الإسلامية، وتقديم النصيح بكيفية ضريها، جاء في هذا التقرير: وضع تصور لخطة جديدة يمكن من خلالها تصفية الحركات الاسلامية، فكان من بين فقرات هذا التقرير فقرة خاصة بالغراء قيادات الدعوة، فاقترح لتحقيق ذلك الإغراء ما يلي:

أ – تعيين من يمكن اغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الاسلامية فارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفذ جهودهم، وذلك مع الإغراء عليهم ماديا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محلياً، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب – العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية، إلى المساهمة في المشروعات ذات الأهداف المشيوحة، التي تقام في المنطقة العربية لصالح اعدائها.

ج – العمل على إيجاد فرص عمل، وعقود مجزية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي إلى يعدمهم عن النشاط الاسلامي. فالتدبير في النقاط الثلاث السابقة، بلاخط أنها الإجراءات مادية غير مباشرة، وبلتفرة فاحصا للعالم الاسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد اشغلت المناصب العليا بعض الدعاة، واستقطكت بعض الدول العربية الغنية جمًا غفيرًا من الدعاة. واليهت التجارة بعضهم.

النبي أعلن لقادة الشرك أنه لا تنازل ولو كان يسيرا عن مبادئ الدعوة

التفاوض والإغراء أثبتا فشلهما في الحرب على الإسلام

أسلوب المجادلة ومحاولة التعجيز

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام الحج والبرامين والأدلة على صحة دعوته، وكان صلى الله عليه وسلم ينفق أختيار الأوقات، وإنهاض الفرس والمناسبات، ويقوى على الرد على الشبهات مهما كان نوعها، وقد استخدم في مجادلته مع الكفار أساليب كثيرة، استنطها من كتاب الله تعالى في إقامة الحجة العقلية، واستخدام الأقيسة المنطقية، واستحضار التفكير والتامل، ومن الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة:

1 – أسلوب المقارنة

وتلك يعرض أمرين: أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه، والآخر هو الشر المطلوب الترغيب منه، وذلك باستشارة العقل، للتفكر في كلا الأمرين، وعاقبتها الوصول –بعد المقارنة– إلى تفضيل الخير وأشاعه:

قال تعالى: «أو من كان مينا فاحبيناً وخيعة له نورا ينشئ به في الناس كفن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون» [الأنعام: 122].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ممثا أي: في الضلالة هالكا حائرا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهده له ووفقه لاتباع رسله».

2 – أسلوب التقرير

وهو أسلوب يؤول بالمراء بعد المحاكمة العقلية، إلى الإقترار بالملطوب، الذي هو مضمون الدعوة، قال تعالى: «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم هم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المستطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فلنات نسئهم سلطانا ميين أم له البنات وليكم البنون أم نسالهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتنون أم يريدون كذا فالذين كفروا هم المكذبون أم لهم الفطرة، فانه لا يبقى سوى الحقيقة التي يقولها الله عز وجل الله سبحانه الله عما يشركون وإن يردوا كفسا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مكرم فزهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون» [الطور: 35–45].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟ أي أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا».

وهذه الآية في غاية القوة من حيث الحجة العقلية، لأن «وجودهم هكذا من غير شيء أمر يكره منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى جدال كثير أو قليل، أما أن يكونوا الخالقين لأنفسهم فامر لم يذعوه، ولا يدعيه مخلوق، وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة، فانه لا يبقى سوى الحقيقة التي يقولها القرآن، وهي أنهم من خلق الله جميعا من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد» والتعبير بالفطرة مضمون الأمر المقرر بمداة في العقل.